obeikandl.com

obeikandl.com

الموضوع الثاني

درجات الإيمان

الإيمان درجات، وهذه الدرجات أو الأجزاء عندما تجمع بعضها مع بعض يتكون الإيمان، قال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**»[1]. والشعبة هي فرع من الأصل، أي: الإيمان عبارة عن شجرة، والشجرة لها ساق، والساق لها فروع، والفروع تخرج منها الثمار.

إذن بداية الإيمان في جذر الشجرة (وهو التوحيد)، أي: جذر الإيمان هو التوحيد، وثمرته الأخلاق التي علمنا إياها رسول الله ﷺ، والإنسان المؤمن هو الذي يأتي بجميع الأعمال التي كلفنا بها الله تعالى في حياتنا، أي: الصلاة جزء من هذا الإيمان، وأساس في الإيمان، وتلاوة القرآن، والصدق، والإخلاص كل هذه من شعب الإيمان، أي أن الإنسان لكي يكون مؤمنًا لا بد وأن يُحصِّل (بضم الياء وكسر الصاد) بضعًا وسبعين شعبة من شعب الإيمان، وعندما تسقط منه شعبة أو بعض هذه الشعب فإنه في حاجة إلى أن يراجع نفسه؛ لأن الإيمان يحتاج إلى تجديد ومراجعة، وأن تجعل الحياة كلها لله عز وجل أساس هذه الحياة، إنه لا يجتمع نقيضان في شيءٍ واحد.

لا يجتمع الإيمان والحسد:

لا يمكن أن يكون المؤمن حسودًا، فالمؤمنُ يحب الخير للناس كلهم، وحلاوة الإيمان لا تأتي لك وأنت جالس على مكتب، أو نائم على سرير، ولكن حلاوة الإيمان

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم ٩، ومسلم رقم ١٦١، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا لفظ مسلم.

تحتاج إلى مجاهدة، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

أي: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وحسَّنه في قلوبكم فآمنتم، وكرَّه إليكم الكفرَ بالله، والخروجَ عن طاعته، ومعصيتَه، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الراشدون السالكون طريق الحق، حبب إليكم السعي إلى الإيمان، أي: الإيمان يحتاج إلى سعي.

بعض درجات الإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع الإيمان والحسد في قلب مؤمن»(١). ثم قال ﷺ: «لا يجتمع الإيمان والكذب في قلب امرئ مسلمٍ»(٢). ثم قال ﷺ: «لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر في صدر امرئ مسلمٍ»(٣). وقال: «ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(٤). وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه»(٥).

ويعني ذلك أن الإيمان عبارة عن جزئيات إيمانية معينة، عندما نضمها إلى بعض فإنها تتساوى في مراتب الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»(٦). فلا بد أن أتذوق بضعًا منها، ولا أتذوق من شعبة واحدة فقط.

أي كم نأخذ في الإخلاص؟ كم نأخذ في التوبة؟ كم نأخذ في الاستغفار؟ كم نأخذ في الصدق مع الله جل في عُلاه؟ كم نأخذ في الصدق مع الناس والصدق في القول؟ كل هذه مراتب ينبغي على المسلم أن يكون له نصيب منها..

---

(١) أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الجهاد، رقم ٣٠٥٨.
(٢) أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، ٨٢٣٨.
(٣) أخرجه النسائي عن عثمان رضي الله عنه، كتاب الأشربة، رقم ٥٥٧٢.
(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم ٢٤٧٥، ومسلم رقم ٢١١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) أخرجه مسلم رقم ١٨١، وأحمد في المسند رقم ٧٨٦٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم ٩، ومسلم رقم ١٦١، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهذا لفظ مسلم.

يُضاف إلى ذلك أيضًا: لا يجتمع الإيمان والمِراء، أي: لا يمكن أن يكون المؤمن مجادلاً حتى لو كان محقًّا أو صادقًا، فإذا وجدت مؤمنًا يريد أن يفرض عليك رأيه، وأنه على حق أمام الناس فلا تنشغل به.

فالإيمان عبارة عن عناصر إيمانية متكاملة، فعندما نصلي فإننا نستشعر حلاوته، وأبناؤنا عندما يقرؤون القرآن، ويحفظون سورة بعد سورة، ويجدون أن كل سورة لها مذاق وطعم، فإنهم يتذوقون حلاوة الإيمان مع كل سورة من سور القرآن الكريم.

أين أجد حلاوة الإيمان؟

يتفقد المسلم حلاوة الإيمان ـ أي يبحث عنها ـ في مواضع ثلاثة:

(١) الصلاة، ولا بد لها من خشوع.

(٢) الذكر مع التفكر، وأذكار الصباح والمساء، ويشعر بها، ويعمل بها، ويعرف أسرار الذكر.

(٣) تلاوة القرآن، والخشوع في التلاوة، وحب قراءة سورة بعد سورة، والاستشعار بحلاوة الإيمان. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. أي: وإذا قُرِئ القرآن فاستمعوا له أيها الناس وأنصتوا؛ رجاء أن يرحمكم الله به..

والاستماع هنا لا يكفي، ولكن يجب أن تعيش القرآن الكريم بكل جوارحك، أهم شيء أن يكون هناك رصيد من الإيمان، ورصيد الإيمان أن تكون هناك قاعدة يُبْنى عليها الإيمان.

سُئِلَ رسول الله ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ»[1]. فأفضل الأعمال التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة هو إيمان بالله عز وجل.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري رقم ٢٦، ومسلم رقم ٢٥٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من ثمرات الإيمان:

الإيمان عندما يستقر في قلب صادق مع الله، ما النتيجة؟ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]. فالإيمان هنا معرفة، والإيمان أيضًا عبارة عن تحول كامل في حياتنا.

لماذا لا نستمتع بالصلاة ولا العبادة؟ لماذا نحن متوترون في حياتنا؟ لماذا نحن عصبيون في حياتنا؟ لافتقاد السكينة الهدوء والإطمئنان، والسكينة لا تثبت إلا بالإيمان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

أي: هو الله الذي أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم «الحديبية» فسكنت، ورسخ اليقين فيها؛ ليزدادوا تصديقًا لله واتباعًا لرسوله ﷺ مع تصديقهم واتباعهم، ولله سبحانه وتعالى جنود السماوات والأرض ينصر بهم عباده المؤمنين، وكان الله عليمًا بمصالح خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه.. أي: هو الذي أنزل السكينة؛ لكي يثبت بها قلوب المؤمنين.

الفرق بين السكينة والمحبة:

السكينة تأتي من الله إلى قلب مستعد لها، ولكن القلب الهلِعَ المتوتِّرَ العصبي لن تستقر فيه السكينة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]. أي: وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد، ولِتربى على عيني وفي حفظي، وفي الآية إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وكماله.

فسيدنا موسى عليه السلام لم يشترِ هذه المحبة من الناس، وإنما ألقى الله سبحانه وتعالى المحبة على سيدنا موسى عليه السلام منذ صغره.

تشابه الإيمان بالثمر الطيب:

كل هذه المعاني نستشعرها عندما تكون عندنا حديقة، هذه الحديقة فيها جميع أنواع الثمار، وأنواع الخضروات، فهي من أعلى بها ثمار: تفاح، ومشمش، وفراولة، وعنب، ومن أسفل بها: جرجير، وطماطم، وبصل، وكل الخضروات في الأرض، وهذا يسقى من ماء واحد، أي أن التفاح والعنب يُسقَى من الماء نفسه الذي يُسقى منه الجرجير والخس، فالكل يُسقى من ماء واحد.

فصار الإيمان عبارة عن طعوم، كل واحد يتذوق شيئًا معينًا، ويتذوق عبادة معينة يجد نفسه فيها، ويتذوق صحبة معينة يحب أن يجلس معها وأن يألف إليها، وأن يسكن إليها، وطعم الإيمان يُسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأُكُل، كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

أي: وفي الأرض قطع يجاور بعضها بعضًا، منها ما هو طيِّب يُنبتُ ما ينفع الناس، ومنها سَبِخة مِلْحة لا تُنبت شيئًا، وفي الأرض الطيبة بساتين من أعناب، وجعل فيها زروعًا مختلفة، ونخيلاً مجتمعًا في منبت واحد، وغير مجتمع فيه، كل ذلك في تربة واحدة، ويشرب من ماء واحد، ولكنه يختلف في الثمار والحجم والطعم وغير ذلك، فهذا حلو، وهذا حامض، وبعضها أفضل من بعض في الأكل، إن في ذلك لَعلامات لِمَن كان له قلب يعقل عن الله تعالى أمره ونهيه.

مثال في سورة المائدة:

إن الذي لا يرى فضل الله، ولا يعقل بقلبه هذا التنوع الحادث في عطاء الله يستوي موقفه تمامًا مع موقف بني إسرائيل مع سيدنا عيسى عليه السلام، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢].

أي: أجاب عيسى ابن مريم عليه السلام طلب الحواريين، فدعا ربه جل وعلا قائلاً: ربنا أنزل علينا مائدة طعام من السماء، نتخذ يوم نزولها عيدًا لنا، نعظمه نحن ومَن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك يا الله على وحدانيتك، وعلى صدق نبوتي، وامنحنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين.

فالناس تريد مائدة، فإذا بالمائدة تنزل من السماء، فجلسوا حول المائدة بضعة آلاف فأكلوا من المائدة وما نقص منها شيء، فأكلوا يومًا ويومين وثلاثة، فهذه نِعَم (بكسر النون وفتح العين)، ورغم هذا كفروا بالله عز وجل، كيف تكفر بالله وقد طلبت شيئًا وقد جيء لك به؟ كما في قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

أي: كيف تنكرون أيُّها المشركون وحدانية الله تعالى، وتُشرِكُون معه غيرَه في العبادة مع البرهان القاطع عليها في أنفسكم؟ فلقد كنتم أمواتًا فأوجدكم، ونفخ فيكم الحياة، ثم يميتكم بعد انقضاء آجالكم التي حددها لكم، ثم يعيدكم أحياء يوم البعث، ثم إليه ترجعون للحساب والجزاء.

موقف سيدنا عيسى عليه السلام مع قومه:

يقول الله عز وجل حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]. أي: إنك يا الله إن تعذبهم فإنهم عبادك وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل بهم ما تشاء بعدلك، وأن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالَبُ، الحكيم في تدبيره وأمره، وهذه الآية ثناء على الله تعالى بحكمته وعدله وكمال علمه.

فقدَّمَ العذاب أولاً؛ لأنه لا عذر لهم عند الله سبحانه وتعالى، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، ولم يقل: (إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم)، فلم يقل: الغفور الرحيم، ولكن قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ لأنهم في الحقيقة ليسوا أهلاً لهذه الرحمة.

حلاوة الإيمان ومجالس اللهو:

المسلم إذا ذاق حلاوة الإيمان فإنه يبتعد عن مجالس اللهو تمامًا، وإذا تغلبت على الشيطان ولم تفعل المعصية التي يزينها إليك الشيطان، فقد ذقت إذن حلاوة الإيمان.

ما الإثم يا رسول الله ﷺ؟ فقال الحبيب: «**الإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(١).

وما البر أو الإيمان يا رسول الله ﷺ؟ قال ﷺ: «**إذا ساءتك سيئتك، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن**»(٢). فالواحد يستمتع بالإيمان عندما يغض بصره، وعندما يبتعد عن مواطن اللهو، والانشغال بالقيل والقال، وما ضيع الناس في حياتهم وما أفسد عليهم حياتهم إلا القيل والقال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]. أي: وإذا سمع هؤلاء القوم الباطل من القول لم يُصْغوا إليه، وقالوا: لنا أعمالنا لا نحيد عنها، ولكم أعمالكم، ووزرها عليكم،

---

(١) أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ، رقم ٦٦٨٠، وأحمد في المسند عن زيد بن الحباب الأنصاري ﷺ، رقم ١٧٦٦٨.

(٢) أخرجه أحمد عن أبي أمامة ﷺ، رقم ٢١١٤٥.

فنحن لا نشغل أنفسنا بالرد عليكم، ولا تسمعون منَّا إلا الخير، ولا نخاطبكم بمقتضى جهلكم؛ لأننا لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها، وهذا من خير ما يقوله الدعاة إلى الله، أي: يقول ليس لي في هذه المجالس؛ لأن الله تعالى لا يريد أن يراني فيها، بل الله سبحانه وتعالى يريد أن يراني ويراكم في مجالس الطاعات، لأجل هذا على المسلم ألا يألفَ مجالس المعصية، ولا مجالس الكلام، والانشغال بالناس، والحديث في أعراض الناس، ولا التهكم بالناس ولا السخرية بهم، **فإذا انشغلت بنفسك فأنت ناجٍ، وإذا انشغلت بالناس فأنت هالك.**

إني أسعى إليك يا رب، فإن الأوقات لا تكفي، وإن العمر قصير، فالأساس في الحياة هو الإيمان، فكل عمل لا بد وأن يكون له رصيد إيماني، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

أي: إنك أيها الرسول لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته، ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان، ويوفقه إليه، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.

كيف أعود إلى الله؟

أحدهم عاصٍ يريد أن يتوب إلى الله، فالعاصي لكي يتوب هو في حاجة إلى أمرين: الأول: أن تنزل عليه سكينة من الله؛ فيستشعر عظمة الله، والآخر: أن يخاف من رب العالمين، وأول ما يخاف من الله ﷻ يبدأ في التحول، وعندما يتحول فإنه يذوق حلاوة الإيمان.

أي: آمن، فلما آمن لا يضره شيء، وينطبق عليه حال السحرة مع فرعون في قوله تعالى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٤]. أي: لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم أيها السحرة من خلاف؛ بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى، ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل؛ تنكيلاً بكم وإرهابًا للناس، فأصبح كل ما قاله فرعون لا يشغلهم، بل قالوا:

خذ منا ما تشاء، وقالوا كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦]. وقالوا: إنا آمنا بربنا، أي: أصبح الإيمان عندنا هو الأساس، فافعل بنا ما تشاء، ولكن لن نخضع لك أبدًا.. بعد أن ذقنا حلاوة الإيمان وبعد أن تعرفنا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله تعالى وحبه تعالى ملك علينا حياتنا.

الهجـرة إلى الله:

إن التحولَ الذي في حياة الإنسان لا بد وأن يكون عن إيمان بالله جل في عُلاه؛ ولذلك عندما نتحدث عن الهجرة متى أهاجر؟ ومتى أهجر المعصية؟

الإنسان المقيم على المعصية الذي أَلِف المعصية، والذي أحب المعصية، كيف يتحول من هذه المعصية بسلاسة وبهدوء وسكينة إلى الإيمان؟ قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [الفتح: ٤].

فلَم يقل: في قلوب الغافلين؛ لأن السكينة في حاجة إلى مَعِينٍ طاهر، وعندما تتنزل السكينة عليكم وعلينا، ما النتيجة يا رب؟ ليزدادوا إيمانًا، ولكن الإيمان في حاجة إلى رفيق لكي أبني عليه، فعلى ماذا أبني؟ على حب لله وطاعته.

إن حلاوة الإيمان في قوله تعالى أيضًا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٧٤]. أي: والذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا ديارهم قاصدين دار الإسلام، أو بلدًا يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين نصروا إخوانهم المهاجرين، وآووهم وواسوهم بالمال والتأييد، أولئك هم المؤمنون الصادقون حقًا، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم.

فبعد أن ذاق حلاوة الإيمان فإنه يجاهد في سبيل الله تعالى، أي: تبدأ بالإيمان، وتنتهي بالهجرة، والجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

obeikandl.com

فالهجرة جاءت بعد الإيمان، وبعد الهجرة يأتي الجهاد والمجاهدة، فالإيمان هو أساس الهجرة لله والطاعة له، وبعد هذا يأتي الجهاد والمجاهدة في سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أي: إن الذين صَدَّقوا بالله ورسوله، وعملوا بشرعه، والذين تركوا ديارهم، وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يطمعون في فضل الله وثوابه، والله غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم رحمة واسعة.

وفي سورة التوبة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠]. أي: الذين آمنوا بالله، وتركوا دار الكفر قاصدين دار الإسلام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد لإعلاء كلمة الله، هؤلاء أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون برضوانه.

خلاصة القول: إن الذي يؤمن بالله تعالى يهاجر أولاً من كل شيء؛ من الآفات والذنوب والمعاصي، ثم يأتي الجهاد في سبيل الله جل في عُلاه، ليس يحارب الأعداء فقط، ولكن يجاهد نفسه والشيطان، ويجاهد في الاستمرار على الطاعة الإيمانية، والقرب لله تعالى في كل وقت وحين، والنتيجة كما ذكر رب العالمين في سورة الأنفال مغفرة ورزق كريم، وفي سورة البقرة أنه يرجو رحمة الله تعالى فإنه غفور رحيم، وكذلك في سورة التوبة أعظم درجة عند الله جل في عُلاه، فهذا هو الفوز العظيم.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا العَمَلَ الصَّالِحَ وَالرِّزْقَ الهَانِئَ، اللَّهُمَّ كُنْ بِنَا رَءُوفًا، وَعَلَيْنَا عَطُوفًا، وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ أَخْذَ الكِرَامِ عَلَيْكَ، وَقَوِّمْنَا إِذَا اعْوَجَجْنَا، وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِذَا عَثَرْنَا، وَكُنْ لَنَا حَيْثُ كُنَّا، اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ عِلْمَ الخَائِفِينَ مِنْكَ، وَخَوْفَ العَالِمِينَ بِكَ، وَيَقِينَ المُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَتَوَكُّلَ المُوقِنِينَ بِكَ، وَإِنَابَةَ المُخْبِتِينَ إِلَيْكَ، وَإِخْبَاتَ المُنِيبِينَ إِلَيْكَ، وَشُكْرَ الصَّابِرِينَ عَلَى قَضَائِكَ، وَصَبْرَ الشَّاكِرِينَ لَكَ وَأَنْ تُلْحِقَنَا بِالمُخْبِتِينَ وَبِالأَحْيَاءِ المَرْزُوقِينَ عِنْدَكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبِّتْنَا، وَثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَحَقِّقْ إِيمَانَنَا، وَارْفَعْ دَرَجَاتِنَا، وَتَقَبَّلْ صَلَاتَنَا وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِنَا، وَنَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا نَأْتِي، وَخَيْرَ مَا نَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا نَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا، وَتَضَعَ وِزْرَنَا، وَتُصْلِحَ أُمُورَنَا، وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَتُحَصِّنَ فُرُوجَنَا، وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا، وَتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِالْعِلْمِ وَزَيِّنَّا بِالْحِلْمِ.

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

obeikandl.com